رواية « النقيض » و « التركيب » النقدي عند الدكتور حسام الخطيب

بقلم : أفنان القاسم

لم أعرف ناقداً عربياً أو أجنبياً كرس من وقته وجهده واهتمامه ببحث عمل ابداعي والتعريف به ، مثلما فعل الدكتور حسام الخطيب ، مشكوراً ، مع روايتي « النقيض »* . فهو ، قبل دراسته المعنونة : « **النقيض** » **الذي لم يصر** « **تركيباً** » ، الصادرة في العدد ١٠١ ، نيسان ١٩٨٠ ، من مجلة « شؤون فلسطينية » ، قد كتب عن « النقيض » في جريدة « الثورة » الدمشقية ، العدد ٤٧٥٨ ، تاريخ ١٩٧٨/٨/٢٧ ، تحت عنوان : « القاتل الذي لا يقتل » ، وألقى حولها محاضرة في عدة مدن سورية الى جانب رواية « العشاق » لرشاد أبي شاور ورواية « البحث عن وليد مسعود » ، لجبرا ابراهيم جبرا ، نجد تلخيصها في جريدة الثورة ١٩٧٩/٤/٢٦ ، تحت عنوان : « **الدكتور حسام الخطيب والموضوع الفلسطيني في ثلاث روايات فلسطينية** » ، ليعود فيكتب عنها ، يوم ١٩٨٠/٢/١٦ ، في جريدة الثورة دوماً ، تحت عنوان : « الفلسطيني والعربي وما بينهما » ، وأخيراً ـ وعلى التأكيد ليس آخراً ـ ليكتب عن « النقيض » من خلال « الموضوع الفلسطيني » ، العزيز على قلم وفؤاد الدكتور حسام ، في العدد الأخير من مجلة « المعرفة » الدمشقية . كل هذا الوقت المكرس والجهد والاهتمام ، رغم أن الدكتور حسام « لم يحبب » الرواية مثلما يقول ، فكيف لو « أحببها » ؟!

الحكم التقييمي وتقييم التجربة الفنية

ولأبدأ ردي من هنا ، من هذه النقطة الهامة في العملية النقدية ، فأسأل : هل « الاعتراف » بشكل تقريري ـ كما فعل الدكتور حسام في فاتحة دراسته المنشورة في « شؤون فلسطينية » ـ « بحب » الناقد للعمل المنقود أو « بعدم حبه » ضروري عند تقييم التجربة الفنية ؟ وللاجابة على هذا السؤال أقول إن « حب » الناقد لمنقوده أو « عدمه » سيان ، ولا فائدة ترجى منه عند العملية النقدية ، وسواء أعلن الناقد عن هذا أو ذاك بشكل مباشر أو غير مباشر : لأن الأساسي هو الكشف عن « ميكانيزم » العمل المنقود واكتشافه بوصفه عملاً له شخصيته المستقلة ، وأسارع الى الاضافة : وله امتداداته الخاصة في الواقع المعاش : لئلا يفهم من ذلك أنه نص منعزل كما يرى البنيويون البورجوازيون ، وعبر هذه الامتدادات الخاصة في الواقع المعاش يمكن تحديد الرؤية المصوغة فنياً ، والتي بإمكانها أن تكون تقدمية أو متخلفة أو بين هذه وتلك . وأبداً لن تشفع للدكتور حسام مقدمته « الشخصية » ـ حسبما يقول ـ لتبرير ما هو « شخصي » لديه . فهو قد حكم بشكل تقريري ، وبجرة قلم عاجلة ، على « الحد الأدنى » ـ على الأقل ـ من النواحي « الموفقة » في الرواية شكلاً ومضموناً ، والذي ـ بكل شجاعة وأمانة ـ لم يتنكر ، على طريقته ، لها . ومن ناحية

* رواية « النقيض » لأفنان القاسم ، اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ١٩٧٨ .